المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17A أيـار 2025
No.17A May 2025

اشكال التحديات في مسيرة الرحالة المسلمين بين القرون(٣-٨) الهجري
(دراسة تحليلية)

أ.م.د. ازهار هادي فاضل أ.د. نوفل محمد نوري
تخصص: تاريخ الأديان في اسيا تخصص: الحضارة الإسلامية في العصر العباسي
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ
azhar_hade@yahoo.com

الملخص

تعد الرحلات مصدرا هاما للمعرفة بجوانبها البشرية بمختلف صورها اويمكن اعتبارها سجل حقيقي للعديد من انشطة الحياة اليومية للمدن والحواضر على مر الزمان، فالرحالة وهو يتنقل في رحلته ويصور مظاهر مختلفة عن مشاهداته او مايسمعه عن المكان قصص وحكايا واخبار ، ومن هنا اختلف الرحالة في دقة ملاحظتهم ودرجة اهتمامهم كما تباينت رؤاهم ودرجة صدقهم وأمانتهم في نقل ما شاهدوه أو سمعوه. وقد اقتضت الحاجة للرحلات بعد الفتوح الإسلامية للتمكن من إدارة الأصقاع الجديدة للبلاد الإسلامية والتعرف عليها وسنورد في هذا البحث أهم الرحالة المسلمين خلال القرون ٣-٨هـ والتحديات والمخاطر التي اختبروها في أسفارهم.

الكلمات المفتاحية: (التحديات، الرحالة المسلمين).

Challenges faced by Muslim travelers between the 3rd and 8th centuries AH (an analytical study)

Asst. Prof. Dr. Azhar Hadi Fadel Prof. Dr. Noufel Mohammed Nouri

Abstract

Travel is an important source of knowledge about the human aspects of life in various forms. It can be considered a true record of many of the daily activities of cities and urban centers throughout time. As the traveler traveled, he captured various aspects of his observations or what he heard about the place through stories, tales, and news. Hence, travelers varied in the accuracy of their observations and the degree of their interest, as did their visions and the degree of their honesty and trustworthiness in conveying what they saw or heard. The need for travel arose after the Islamic conquests to enable the management and exploration of new areas of Islamic lands. In this study, we

will cite the most important Muslim travelers during the 3rd-8th centuries AH and the challenges and dangers they encountered during their travels.

Keywords: (Challenges, Muslim travelers).

المقدمة:

لطالما كان المسلمون مفطورين على حبّ الرحلة والترحال منذ نشأتهم، فكتب التاريخ مليئة بأخبار تنقلهم وأسفارهم، إما طلباً للرزق، أو عملاً بالتجارة، أو سعياً لبيت الله الحرام اذ ارتاد كثيرا من أفراده أقاليم متعددة فبلغوا أقاصي بلاد الشام والحبشة ووصلوا البلاد النائية. وقد كانت الرحلات للقبائل فقد كان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء، والأسفار للأفراد فكانت أسفار الشعراء إلى الحيرة وبلاد الشام وبلاد الروم ،فمع بزوغ فجر الإسلام انطلق العرب إلى خارج الجزيرة وبلغوا حدود المشرق والمغرب على امتداد رقعة البلدان الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً واقترنت الرحلة عند المسلمين بعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) فالرحالة اهتموا بشكل كبير بوصف المدن والبلدان وذكر طرقها وشعابها ومناخها ونباتاتها وجاء اهتمام الرحالة بعلم تقويم البلدان نظراً لحاجتهم لمعرفة الطرق التي تؤدي لمكة للقيام بفريضة الحج بالإضافة لاهتمام الرحالة بالتجارة ومما تجدر ملاحظته أن الجغرافيون ومنذ القرن الرابع الهجري بمعظمهم كانوا رحالة جمعوا كثيراً مما كتبوه بواسطة المشاهدة والاختبار والأسفار فتعرضوا أثناء رحلاتهم لتحديات وصعبات نقلوها لنا ودونوها في كتب رحلاتهم بوصفها مذكرات يومية .

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من ضرورة التعرف على التحديات التي واجهها الرحالة المسلمون خلال رحلاتهم ومدى تأثيرها على تحقيقهم للغايات التي ارتحلوا لأجلها على اختلافها فمن الرحالة من سافر بقصد التجارة ومنهم من سافر طاعةً لله والقيام بفريضة الحج ومنهم من كانت رحلاته تكليفية لأغراض معينة ومنها بقصد الترفيه والإطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى .

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث بالأسئلة التالية:

١. من هم الرحالة المسلمون الذين ارتحلوا خلال القرون ٣-٨هـ.

٢. ما الدوافع والغايات التي ارتحلوا لأجلها؟ وما مدى تحقيقهم لتلك الغايات؟

٣. من هم الرحالة الذين طغى على رحلاتهم مبالغة في وصف التحديات؟

٤. من هم الرحالة الذين اتصفوا بالدقة والموضوعية في نقل مشاهداتهم؟

٥. ما هي التحديات البشرية ثقافية كانت ام اجتماعية اوغيرها،وتحديات طبيعية التي واجهت الرحالة في أسفارهم؟

٦. كيف تعامل هؤلاء الرحالة مع تلك التحديات وكيفية مواجهتها؟

أهداف البحث

يهدف البحث للإجابة عن الأسئلة السابقة لتكوين صورة واضحة عن التحديات التي واجهت الرحالة المسلمون خلال القرون ٣-٨ هـ وتقييم المواقف التي نقلها لنا الرحالة ومدى إمكانية إطلاق كلمة التحدي على هذا الفعل وتلك الاستجابة مع العودة لسيرة كل رحالة موضوع الدراسة لمعرفة مدى دقته وصدقه وموضوعيته في تناول هذا التحدي أو ذاك.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي لأنه الأجدر بالإحاطة بالمؤثرات والسياقات الخارجية المحيطة بالنص من نوع سير أسفار الرحالة ودوافع ارتحالهم والتحديات التي واجهوها.

هيكلية البحث:

أولاً: الرحالة المسلمين في الفترة من ٣-٨هـ :

أ. رحالة تمتعوا بدرجة عالية من الصدق بشهادة من ترجم لسيرهم من كتاب التراجم [١]وهم:

- **اليعقوبي:** هو أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح وهو رحالة ومؤرخاً وجغرافياً قام برحلاته في أرمينيا وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب وألف كتاب "البلدان" وهو من أقدم الكتب التي وصلت إلينا. طبع في المكتبة الجغرافية في ليدن وقام بنشره حديثاً جاستون فييت بعد ترجمته للغة الفرنسية[٢].
- **المقدسي:** هو شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي المعروف ب "البشاري" ولد ببيت المقدس وطاف أقاليم العالم الإسلامي بغية التعرف على شعوبها وعاداتهم واعتمد على الرؤية والملاحظة المباشرة وبعد تلك الدراسة وضع كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" في مدينة شيراز[٣] ٣٧٥هـ وكان عمره آنذاك أربعون عاما ، كان قد تعلم الفارسية من امه، وكان يشغله عدم اهتمام الجغرافيين العرب بخريطة العالم الاسلامي بالدقة المطلوبة اذ يقول في سبب تأليفه كتاب احسن التقاسيم :اعلم اني اسست هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندته بدعائم قوية وتحريت جهدي الصواب واستعنت بفهم اولى الالباب وسألت الله عز اسمه ان يجنبني الخطأ والزلل ً[٤]

(١) نوري ، نوفل محمد،، الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الاسطورة والحقيقة ،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية /جامعة الموصل ،مج١١،العدد١،تموز:٢٠١١،ص٢٥٥-٢٥٨.

(٢) أحمد، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة، جدة، د.ت، ص٧١.

(٣) مدينة صحيحة الهواء مياهها عذبة وخيراتها كثيرة وافرة الغلات وهي مدينة فارس العظمى وقد سميت شيراز بن كهمورث وقد بناها سلطان الدولة كاليجار بن بويه ويقال أن من أقام بشيراز سنة يطيب عيشه من دون سبب يعرفه ومن عجائب هذه المدينة شجرة تفاح نصف تفاحها غاية الحلاوة والنصف الآخر غاية الحموضة. انظر: القزويني، زكريا بت محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ، ص ٢١٠.

(٤) المقدسي ، محمد بن احمد شمس الدين ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (دار صادر ، بيروت :١٩٩١)نص٣؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص١٢٩.

- **ابن حوقل:** هو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي ولد في نصيبين[١] بالجزيرة وعزم على السفر سنة ٣٣١هـ فجاب البلاد نحو ثلاثين عاماً طلباً للعلم وعملاً بالتجارة فزار المغرب والأندلس والسودان ومصر وأرمينية وأذربيجان ثم العراق فخراسان وفارس ونهايةً صقلية وقد التقى ابن حوقل بالاصطخري سنة ٣٤٠هـ وكان آنذاك قد صنع الاصطخري خريطة سيئة للسند فأراه ابن حوقل خارطتين من صنعه إحداهما لأذربيجان والثانية للجزيرة فمدحهما الاصطخري كثيراً ومنذ ذلك الوقت أصبح الاصطخري دليل الرحالة الجغرافي. وضع ابن حوقل كتابه "المسالك والممالك أو صورة الأرض"[٢].
- **الاصطخري:** هو إسحق الفارسي الاصطخري المعروف ب "الكرخي" ولد بأصطخر[٣] وتحول إلى دار السلام توفي سنة ٣٤٠هـ كان ميالاً للأسفار فسافر ووصف الكثير من المواقع والبلدان وضع كتابه "مسالك الممالك" ومن أبرز ما يميز كتابه اعتماده مقارنة المدن ببعضها[٤].
- **ياقوت الحموي:** هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله من أصول يونانية ولد في بلاد الروم[٥] سنة ٥٧٤هـ وقد أُسر في شبابه فبيع لتاجر حموي مقيم في بغداد فنشأ مسلماً وقد اعتنى التاجر به

---

(١) هي مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والبساتين ولها نهر عظيم يدعى الهرماس وأهلها من بني تغلب افتتحها عياض بن غنم الفهري في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٩١٨، ص ١١٩.

(٢) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص١١٧-١١٨.

(٣) مدينة بأرض فارس لا يعلم من بناها وكان سليمان عليه السلام يتغدى بأرض الشام في بعلبك ويتعشى بأصطخر. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٧.

(٤) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٧٩.

(٥) هم أمة عظيمة وهم من سكان الإقليم الخامس والسادس حسب تصنيف القزويني وهم من نسل عيصو بن إسحق بن ابراهيم عليه السلام بلادهم كبيرة ومملكتهم مهيبة منها الرومية والقسطنطينية بلادهم باردة لوقوعها في الشمال وهي كثيرة الخيرات وافرة الثمار كثيرة البهائم وكانوا قديماً على دين الفلاسفة إلى أن ظهر فيهم دين النصارى ومن عاداتهم إخصاء أولادهم وملوك الروم وهم القياصرة من أعظم الملوك علماً وأكملهم رأياً وفكراً وأوسعهم مملكة

وعلمه ليساعده في تجارته أعتقه مولاه سنة ٥٩٦هـ، طاف في إيران وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر و الشام ألف كتاب معجم البلدان سنة ٦٢١هـ[١].

- **ابن جبير** : هو أبو الحسن محمد بن أحمد ابن جبير الكتاني الأندلسي كان من الحجاج الأعظم شأناً في القرن السادس الهجري[٢] قام بثلاث رحلات إلى الشرق كتب أخبار الرحلة الأولى سنة ٥٨٢هـ في ما يشبه المذكرات اليومية تعرف باسم (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) ولد ابن جبير في مدينة بلنسية[٣] سنة ٥٤٠هـ ودرس في سبتة وغرناطة[٤].
- **ناصر خسرو:** ولد في قياديان قرب بلخ سنة ٣٩٤هـ من أسرة متوسطة الحال قام بشبابه برحلات عديدة تجاه إيران وتركستان والهند وبلاد العرب ثم استلم منصب كبير بديوان السلاجقة بمدينة مرو[٥] وبقي يعيش بترف حتى سنة ٤٣٧هـ وبعدها ضحى بمنصبه وبدأ حياة سفر وعلم وتقوى وكان السبب بهذا التحول رؤيا ظهر له بها شيخ طلب إليه أن يكف عن شرب الخمر واللهو فسافر ليحج وقام برحلات طويلة في الشرق الأدنى بين عامي(٤٣٧هـ- ٤٤٤هـ) توفي

وأكثرهم مالاًومن عاداتهم أن لا يأخذوا عدوهم مباغتةً فإن أرادوا غزو بلاد كتبوا لصاحبها: نحن قاصدون بلدك في السنة الآتية فاستعدّ وتأهب لقتالنا. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٨٦-٥٨٧.

(١) حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٠٢-١٠٥؛ أحمد، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ص١٧٧.

(٢) حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص١٩.

(٣) مدينة قديمة بأرض الأندلس وهي من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر ذات خطة فسيحة جمعت خيرات البر والبحر وهي طيبة التربة ينبت بها الزعفران. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٠١-٥١٣.

(٤) حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٧٠-٧١.

(٥) هي أجلّ كور خراسان افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي وهو من قبل عبد الله بن عامر في خلافة عثمان وأهلها أشراف من العجم وفيها قوم من العرب وكانت منازل ولاة خراسان فكان المأمون أول من نزل بها. انظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ، ص٤٦.

سنة ٤٥٣هـ ترجمت رحلته للفرنسية وأصبحت مصدراً أساسياً لدراسة الحضارة الإسلامية في الشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري ويعتبر وصف مصر في رحلته من أكثر المصادر التاريخية إمتاعاً فهو قد أقام بمصر أربع سنوات ودوّن مشاهداته بدقة(١) من أهم مصنفاته المنظومة الديوان وسفر نامة أما المنثورة فهي زاد المسافرين وخوان الإخوان والرسالة(٢).

- **الإدريسي:** هو محمد بن محمد بن الشريف الإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ولد سنة ٤٩٣هـ في مدينة سبته(٣) درس في جامعة قرطبة وجال في الأندلس وشمالي أفريقية وآسيا الصغرى، زار فرنسا وإنجلترا ثم لبى دعوة الملك روجر الثاني ملك صقلية (١٠٩٥-١١٥٤م) فنزل في بلاطه في صقلية بعد أن طلب منه أن يؤلف كتاب شامل في وصف مملكته ووصف الكرة الأرضية الفضية التي صنعت له مرسوماً عليها جميع الأقاليم التي كانت معروفة حينئذٍ فألف كتاب نزهة المشتاق قبل وفاة روجر سنة ٥٤٨هـ وبقي الكتاب ينسب لحاكم البلاد فيسمى"كتاب روجر"(٤).

ب. رحالة طغى على رحلاتهم قلة دقة ومبالغات

---

(١) حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٥٦.

(٢) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٢٤٢.

(٣) بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر وهي داخلة في البحر عندها الصخرة التي وصل إليها موسى وفتاه يوشع عليه السلام فنسيا الحوت المشوي وكانا قد أكلا نصفه فأحيا الله تعالى النصف الآخر فاتخذ سبيله في البحر عجباً وله نسل إلى الآن في ذلك المكان وهي سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر أحد جانبيها صحيح والجانب الآخر شوك وعظام وغشاء رقيق على أحشاءها وعينها واحدة ولها نصف رأس فمن شاهدها من هذا الجانب نفر منها وحسب أنها مأكولة ميتة والناس يتباركون بها واليهود يقددونها ويقدمونها كهدية للبلاد العيدة. انظر: القزويني، آثار البلد وأخبار العباد، ص٢٠١.

(٤) حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٦٤-٦٥ ؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص١٦١-١٦٢

- **الهروي:** هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي أصله من هراة ولد في الموصل وجال في أنحاء الشرق الإسلامي وفي الهند والقسطنطينية والمغرب وصقلية وكان محباً للأسفار وبكتابة اسمه على الآثار التي يزورها وقال عنه ابن خلكان أنه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً إلا زاره ولذلك عرف باسم (الهراوي السائح) توفي سنة ٦١١هـ في حلب من مؤلفاته كتاب "الإشارات إلى معرفة الزيارات"[١] .
- **ابن فضلان:** هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، كان مولى لأحد الخلفاء العباسيين وللقائد محمد بن سليمان قام ابن فضلان برحلة إلى بلاد البلغار[٢] سنة ٣٠٩هـ ونشر الإسلام في منطقة حوض الطونة ولهذه الرحلة أهمية خاصة لأن ابن فضلان كان قد أرسل في بعثة من قبل الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك البلغار بعد أن أسلم وطلب من الخليفة أن يرسل إليه من يفقهه بأمور الدين ويبني مسجداً ويقيم له منبراً لينشر الدعوة الإسلامية فأرسل إليه المقتدر بالله بعثة كان ابن فضلان الخبير الديني فيها وقد نشرت رسالة ابن فضلان لأول مرة بعناية المستشرق فرهن في بطرسبورج سنة ١٨٢٣م[٣].
- **القزويني:** هو زكريا بن محمد القزويني ولد سنة ٥٠٦هـ في مدينة قزوين بالعراق جال في إيران والعراق والشام وتوفي سنة ٦٨٢هـ وقد وضع كتابين كبيرين الأول في الفلك والجغرافية

---

(١) الهروي، أبي الحسن علي بن أبي بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٢، ص٥ ؛ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٨٩-٩٠؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٢٨٣.

(٢) تطلق كلمة بلغار على الشعب وعلى البلاد وهي مدينة على ساحل بحر مانيطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشبالبلوط وحولها من أمم الترك ما لا يعد ولا يحصى طول النهار ببلغار عشرين ساعة وليلهم أربع ساعات والبرد عندهم شديد جداً لا ينقطع عن أرضهم صيفاً ولا شتاءً. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦١٢.

(٣) نوري ، نوفل محمد،، الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الاسطورة والحقيقة ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية /جامعة الموصل ،مج١١،العدد١،تموز:٢٠١١،ص٢٥٥-٢٥٨.

الطبيعية عند العرب ويسمى "عجائب المخلوقات" والثاني في التاريخ وتقويم البلدان ويسمى "آثار البلاد وأخبار العباد"(١).

- **ابن خرداذبة** : هو أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، ولد في خراسان سنة ٢٠٥ هـ وتلقى علمه في بغداد اعتنق الإسلام وقد كان والده والياً على طبرستان سنة ٢٠١هـ ودرس إلى جانب العلوم الموسيقى والأدب ويعد ابن خرداذبة من أقدم الرحالة الجغرافيين في العصر العباسي ووضع كتابه "المسالك والممالك" الذي يحتوي على معلومات مهمة في نظم الحكم ويعتبر كتابه دليل يسترشد به المسافرون للاهتداء إلى الطريق البحري من مصب نهر دجلة إلى الهند والصين توفي سنة ٢٧٢هـ وقيل ٣٠٠هـ(٢).
- **السيرافي:** يدعى (سليمان التاجر) من الرحالة المسلمين الذين زاروا الهند والصين عدة مرات لا يتوفر لدينا وصف عن حياته وقد وصل إلينا وصف سياحته في الهند والصين فقد كتبه سنة ٢٣٧هـ ووضع لهذا الوصف ذيل وضعه في القرن الرابع الهجري مؤلف من سيراف(٣) اسمه أبو زيد حسن وكان قد استقى معلوماته مما سمعه من قصص الرحالة والتجار في بحار الصين تتميز رحلة السيرافي والذيل الذي وضعه أبو زيد بوصف صادق للطرق التجارية وأهم منتجات الهند والصين وتتحدث عن علاقة المسلمين بالصين في القرنين الثالث والرابع الهجري(٤).

---

(١) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص٥؛ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ١٢٦؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٢٩٧.

(٢) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٥٥.

(٣) مدينة شريفة طيبة البقعة كثيرة البساتين والعيون تأتيها من الجبال واسعة البقعة والدور. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٠٤.

(٤) حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٣.

- **ابن بطوطة:** من أعظم الرحالة المسلمين وأكثرهم تجوالاً في الآفاق وأكثرهم نشاطاً واستيعاباً للأخبار مع أنه لم يكن دقيق الملاحظة سليم الحكم كابن حجر ولكن كتبه غنية بالأحداث ولد في مدينة طنجة سنة ٧٠٣هـ من أسرة راقية أُتيح للكثير من أبناءها الوصول للعلوم غادر وطنه سنة ٧٢٥هـ لأداء فريضة الحج ولكنه بقي حوالي ثمانية وعشرون سنة في أسفار متصلة لم يدون ابن بطوطة رحلته بنفسه بل دونها ابن جزي فعدل في بعض أخبارها وحذف البعض الآخر فاتصفت بالاضطراب[١] .

ثانياً: صور التحديات التي واجهها الرحالة المسلمين:

أ-تحديات بشرية :

تعرض الرحالة في أسفارهم لصعوبات وتحديات شتى أثناء تجوالهم ورحلاتهم فيؤكد المقدسي في كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أنه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذ منه نصيباً فقد طُرد في الليالي من المساجد وجال في البراري وتاه في الصحاري وأنه قد شارف عدة مرات على الغرق وتعرضت قوافله لقطاع الطرق وأنه قد صاحب الفاسقين في الطرق وسجن في السجون بعد أن اتهم أنه جاسوس وأنه قد عانى من البرد القارس والثلوج وأنه قد خُطط لقتله أكثر من مرة ووبخه الأشراف واتُهم بالبدع والطمع[٢]

وسنورد تباعاً بعض صور التحديات التي واجهها الرحالة في رحلاتهم من بينها:

١. تحديات تتعلق بصعوبة الإنفاق على الرحلة وتأمين وسائل النقل:

(١) نوري ، نوفل محمد،، الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الاسطورة والحقيقة ،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية /جامعة الموصل ،مج١١،العدد١،تموز:٢٠١١،ص٢٥٥-٢٥٩.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١، ص٤٤.

كانت الرحلات بمجمله ولطول المسافات التي يقطعها الرحالة مكلفة له، اذ يؤكد المقدسي بأنه قد أنفق في أسفاره فوق العشرة آلاف درهم[١] وهذ تحد كونه خسارة للاموال التي جمعها او ورثها او منحت له ن فهي ليست تجارة مربحة دائما ولاسيما اذا كان هدفه الاستكشاف وحب المعرفة .

يؤكد ابن فضلان من خلال وصف رحلته لبلاد الترك التي كلفه بها الخليفة المقتدر بالله ليبني فيها مسجداً وحصناً أنه من عادات بعض القبائل التركية التي مر بها أن يتخذ المسلم الذي يمر ببلادهم صديقاً له منهم ينزل عنده ويحمل له من بلده ثوباً ولامرأته مقنعة[٢] وشيئاً من فلفل[٣] وجاورس[٤] وزبيب وجوز فإذا جاء عند صديقه نصب له خيمة وحمل له الأغنام حتى يتولى المسلم ذبحها لأن الأتراك لا يذبحون وإنما يضربون رأس الشاة حتى تموت[٥].

يروي ابن فضلان عن الأموال والشاة والطعام الذي خسره في رحلته في بلاد الترك فيقول أن ملكهم ينال الصغير لم يدعهم يمرون بقوافلهم إلى أن أعطوه خفتان (جاكيت) جرجاني يقدر قيمته

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٥.

(٢) ما تغطي به المرآة رأسها وتستر وجهها. انظر: بن فضلان، أحمد، رحلة ابن فضلان ، حررها شاكر لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣، ص٦٤.

(٣) نبات من الفصيلة الفلفلية من نباتات البلاد الحارة ويستعمل مسحوق ثماره في الطعام. انظر: المرجع نفسه، ص٦٤

(٤) جنس نباتات عشبية زراعية يؤكل مثل الدخن معرب كاورس وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر الرزين يشبه حبة الأرز في قوته وأقوى قبضاً من الدخن وهو يدر البول ويمسك الطبيعة. انظر:الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، ج٨، دار الفكر، ص٢٢٢.

(٥) بن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، حققها : سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٠، ص٩٥.

بعشرة دراهم وشقة باي باف[١] وأقراص خبز وكف زبيب ومائة جوزة وبعد أن تابعوا مسيرهم طالعهم رجل من الأتراك ويصفه ابن فضلان بأنه قبيح الخلقة قميئ المظهر وقد أوقف القافلة المؤلفة من ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ومنع أي أحد من التقدم بالمسير وبعد أن توقفوا أخبروه أنهم أصدقاء كوذر كين (ويعني خليفة الملك) فضحك وتنكر الأمر وطلب بكند ويعني الخبز بلغة خوارزم فيقول ابن فضلان أعطيته أقراصاً فأخذها وفتح الطريق[٢].

وكان من عادات الرحالة أن يقدموا الهدايا والطعام أينما حلوا ،ومن المواقف التي يرويها ابن فضلان في ذلك أنه قد نزل مع قافلته في بلاد الترك عند قائد جيشهم ويدعى "أترك بن القطغان" الذي استضافهم في خيام وأرسل لهم الأغنام ليذبحوها والدواب ليركوبها وفي المقابل كان ابن فضلان قد قدم له الهدايا وهي ثياب وزبيب وجوز وجاورس وفلفل ويروي ابن فضلان دخوله خيمته وبيده كتاب "نذير الحرمي" يأمره به بالإسلام وقد أعطاه خمسين دينار فيها ثلاثة مثاقيل مسك وجلود أديم وثياب وقرطقين وخفّ أديم وثوب ديباج خمسة أثواب حرير وقدموا لامرأته مقنعة وخاتم[٣].

يحدثنا ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك من خلال وصفه لرحلة سلام الترجمان البلاد التي زارها أثناء الرحلة التي كلفه بها الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ)بعد أن رأى مناماً بأن السد الذي بناه ذو القرنين بينهم وبين يأجوج ومأجوج[٤] قد انفتح فيسرد ابن خرداذبة

---

(١) وهي في الأصل باي ياف وهو لباس للمرأة وردت في كتاب المقدسي بعبارة: "أما التجارات ترتفع من نيسابور ثياب البيض الخفية والبيباف والعمائم الشهجانية الخفية" . انظر، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٣.

(٢) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٩٨-٩٩.

(٣) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٠١-١٠٢.

(٤) هما ابنا يافث بن نوح عليه السلام وقد ولدا خلقاً كثيراً فصاروا قبيلتين لا يحصى عددهم إلا الله ويحكى أن ذو القرنين سار إلى ناحية يأجوج ومأجوج فاجتمع حوله كثير من الخلق وقالوا له أيها الملك المظفر إن خلف هذا الجبل خلقاً لا يعلم عددهم إلا الله يخربون بلادنا ويأكلون أرزاقنا فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم

القصة نقلا عن سلام الترجمان بأن الخلفة الواثق قد ضم إليه خمسين رجلاً شباب أقوياء وأعطاه خمسة آلاف دينار كتكاليف للرحلة وأعطاه أجرته عشرة آلاف درهم وأعطى كل رجل من الخمسين رجلاً ألف درهم ومؤونة سنة كاملة وزود الرحلة بمائتي بغل لحمل الزاد والماء[١] .

وأورد أنه لم يسلم من البغال التي ساقوها عند انطلاقهم للرحلة سوى ثلاثة وعشرون بغلاً بعد أن أمضوا في الرحلة ستة عشر شهراً ذهاباً واثني عشر شهراً إياباً[٢].

اما رحلة ناصر خسروا فيخبرنا صاحب الرحلة أنه استأجر جملاً ليقطع صحراء فسيحة وقد انتظر مرور موكب الحجاج العائدين ليستأجره وقد دفع ثمن استأجاره دينار ونصف الدينار ويسرد خلال طريق عودته أنه مر بصحراء لا ماء فيها (فتعبنا وتعبت الجمال بعد أن نفذ الزاد وبقيت لسبعة أيام لم تأكل ولم تشرب وكانت الإبل تعلم أنها ان أبطأت ماتت عطشاً فهي تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق في هذه الصحارى حيث لا أثر ولا علامة تدل على الطريق)[٣] وأكد ناصر خسرو أنه قد تنعدم الماء في مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخاً[٤] وهذا تحد اخر.

ويحدثنا ابن جبير عن معاناته في مصر من الضرائب فيسرد يوم نزوله بالاسكندرية أنه صعد أمناء او مايعرف اليوم خفر السواحل إلى المركب ، وأنهم قد استحضروا جميع من كان بداخله من

سداً فقال ذا القرنين لا حاجة لي بمالكم إن الله أعطاني من المكنة ما لا حاجة لي بمالكم ولكن أعينوني بالآلة والرجال . انظر عن كيفية بناء السد وصفاته: القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٩٦.

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م ص ١٦٣ ؛ الإدريسي، أبي عبد الله بن إدريس الحموي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٢٢م، ، ص ٩٣٤.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص١٧٠.

(٣) خسرو، ناصر، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ط٢،ص١٣٣.

(٤) خسرو، ناصر، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ط٢،ص١٣٣.

المسلمين وتم تدوين أسماءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسئل كل شخص عم لديه من سلع أو مال ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يُبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو لم يحل وكان أغلب المسافرين لم يصحبوا معهم سوى زاد طريقهم فجبروا على أداء الزكاة دون أن يسأل أحال عليه الحول أم لا وطُلب من المسلمين تنزيل سلعهم وما بقي من طعامهم وكان لديهم أعوان يتوكلون بحمل كل بضائعهم فازدحم الديوان بعد أن سُئل كل مسلم عن بضاعته ووقع التفتيش على كل شيء واختلطت البضائع ببعضها وأدخل الأعوان أيديهم إلى أوساط المسلمين باحثين عما عسى أن يكون فيها واستحلفوا بعد ذلك عما إذا كان عندهم غير ما وجدوه عندهم وأثناء التفتيش ذهبت الكثير من السلع لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام إلى أن أُطلقوا للرحيل بعد الكثير مما لحق بهم من الذل والخزي، ويؤكد ابن جبير أن كل ذلك يجري بدون علم السلطان صلاح الدين والذي امتدحه ابن جبير في اكثر من مناسبة في متابعو شؤون الغرباء والمسافرين من ابناء السبيل وتقديم العون لهم من سكن او مستشفى لمرضاهم وغيرها وأنه لا يرضى بهذا الفعل وأن كل هذه الأحدوثة من صنع عمال الدواوين[١].

وكان مما يصادفه الحجاج وابن حبير واحدا منهم في رحلتهم قطاعي طرق يستغلون الحجاج ويأخذون منهم أعظم غلاتهم وينتهبونهم انتهاباً والحاج عندهم يبقى في غرامة إلى أن ييسر الله عودته لوطنه فيعامل كمعاملة أهل الذمة ويستجلبون أمواله بكل حيلة وسبب ويمارسون شتى أنواع الظلم عليه[٢].

وفي سياق وصف ابن جبير لمدينة بانياس يصف أحوال التجار والتجارة بأنها كانت مستمرة بين مصر ودمشق رغم حالة الحرب التي كانت قائمة ببلاد الشام بين الطرفين وأنه كان يتم عبور الطرفين بأراضي الآخر بعد دفع ضريبة ويصف مروره مع قافلته بحصن كبير من حصون الإفرنج

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣، ص١٣.
(٢) المرجع نفسه، ص٥٤ –٥٦.

يدعى "تبنين" فيه على حد قول ابن جبير موضع تمكيس[١] القوافل العابرة إلى عكا فيذكر ابن جبير أنه قد بات مع قافلته أسفل ذلك الحصن ومكس الناس تمكيساً لا حدود له ودفع الفرد منهم ضريبة مقدارها ديناراً وقيراطاً من الدينار الصوري (نسبةً إلى صور) أما التجار فلا اعتراض عليهم لأنهم يقصدون الملك ويسمح لهم بمواصلة سيرهم إلى عكا[٢].

ويؤكد الإدريسي في رحلته بأنه كان يؤخذ المكس في عيذاب من الحجاج المسلمين القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه على كل رأس ثمانية دنانير من الذهب بأي شكل مسبوكاً أو مسكوكاً ولا يعبر أحد من حجاج المغرب إلى جدة إلا بعد أن يظهر مكسه ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك لا يجوز أحد من عيذاب إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر ووصل إلى جدة أرسى على بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات الممكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم فتقضى منهم المكوس اللازمة لهم والواجبة عليهم فإن عثروا على رجل منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل الحاج حتى يفوته الحج وربما سخر له الله من يفرج عنه بما لزمه من المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكة فينفقه في أرزاق أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه[٣].

أما بالنسبة للرحالة ناصر خسرو فقد ضحى بعمله في الديوان وبدأ رحلته التي لم يكن بنيته أن تستمر لسبع سنوات إذ لم يكن يخطط ليقيم بمصر مدة طويلة فاكتفى بالقليل من المال اللازم لرحلته وترك بقية أمواله فيسرد لنا من خلال كتابه "سفر نامه" عن الصعوبات التي تعرض لها وخاصة أنه

---

(١) المكس: هو الجباية والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية . راجع: ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد ٦، نشر أدب الحوزة، إيران، ١٤٠٥هـ، ص٢٢٠.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٧٤.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ١٣٥.

لم يجد لديه صديق يغيثه فيحدثنا أنه وعندما بلغ "فلج" التي أقام بها أربعة أشهر لم يكن معه خلالها سوى سلتين من الكتب إذ أن الناس في المدينة فقراء جداً وبؤساء ويأكلون التمر ويسمونه ميدون تزن الواحدة منه عشرة دراهم فالناس فيها عراة وجياع وجهلاء يحملون ترسهم وسيفهم إذ ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب فبادر للتحايل لكسب قوته بأنه ذو خط جميل وكان بحوزته بعض الألوان فكتب على محراب مسجد عندهم بيتاً من الشعر وزينه بأوراق الشجر فسرهم هذا الخط وطلبوا منه أن ينقش على كافة محراب مسجدهم مقابل أن يعطوه مائةً من التمر فنفذ الاتفاق ونقش على محراب المسجد فأعطوه مائة من التمر التي كان لها عون كبير بعد أن فقدوا أملهم بالحياة لندرة الغذاء[١] .

يبدو من خلال ما تقدم أن الإنفاق على الرحلة من أولى التحديات التي يأخذها الرحالة بالحسبان عند الإنطلاق برحلته سواء كان الإنفاق بإعطاء المال ودفع الضرائب عند العبور ببلد معين أو بتقديم الهدايا طمعاً بكسب الود في البلاد التي ينزلها أو درءاً للأخطار وحفاظاً على سلامتهم أو قد يكون الإنفاق من خلالالدواب التي يستخدمونها في التنقل والتي يموت بعضها من عبء المشقة أوتلك الأخطار الطبيعية التي يصادفونها أو السفن التي يبحرون بها وتتعرض للتخريب كما سنورد تباعاً.

٢. تحديات تتعلق بالأمراض او الجوع والعطش التي يصاب بها الرحالة

ضمن سياق المخاطر التي تعرضت لها رحلة سلام الترجمان للتأكد من سلامة سد ذو القرنين يروي أنه وعند وصوله مدينة نيسابور كان عدد من مرض من الرجال الذين رافقوه في الرحلة اثنان وعشرون رجل من مات منهم دُفن بثيابه ومن مرض تُرك مريضاً في بعض القرى التي مروا بها وقد مات في طريق العودة أربعة عشر رجلاً[٢] .

(١) خسرو، سفر نامة، ص١٧٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦٩.

كما يحدثنا ابن جبير ويصف معاناته ومن معه من الرحالة عندما نزل بمدينة عيذاب إذ بقي فيها قرابة ثلاثة وعشرين يوماً عانوا خلالها من ضيق العيش وسوء الأحوال واضطراب الصحة لعدم توافر الأغذية المناسبة والكافية ويؤكد بأن الإقامة بهذه البلاد من أعظم المكاره فهواءها يذيب الأجسام من شدته وكانوا يلجأون لشرب الماء ليملؤوا معدتهم عندما يحلّ بهم الجوع ، كما اشتكى ابن جبيرمن معاملتهم السيئة مع الحجاج قائلا:ولاهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت وذلك لانهم يشحنون بهم الجلاب (المراكب) حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها اقفاص الدجاج المملوءة [١].

ويورد ناصر خسرو عن الحال التي كان عليها هو وأخوه عندما بلغا البصرة فقد بليت ملابسهما ولم يبق منها إلا أجزاء تتدلى على جسهما فقد لبثوا ثلاثة شهور لم يحلقوا شعر رأسهم فكانوا على قدر كبير من العرى والفاقة كأنهم مجانين وقد بدا عليهما الفقر والجوع والمرض والتعب فاضطر لبيع بعض الكتب وأعطى ثمنها لصاحب الحمام ليسمح لهما بالاستحمام ولكن صاحب الحمام رفض طلبهما وطلب منهما الرحيل وحسب أطفال الطريق أن بهما جنة فأخذوا يركضون وراءهما ويضربوهما بالحجارة[٢].

ويذكر أن البدو في بصيرة لا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم منذ سنة فقد عاش معهم ناصر خسرو تسعة شهور ولم يتقبل شرب اللبن الذي كانوا يقدمونه له وكان يطالب دائماً بالماء فيخبروه أن يشربه عندما يراه وكيف له أن يراه وهؤلاء لم يشاهدوا الحمامات والمياه الجارية طيلة حياتهم[٣].

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٩.

(٢) خسرو، سفر نامة، ص ١٦٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٢.

فمن الطبيعي أثناء الرحلة أن يتعرض الرحالة للمرض جراء التعب والمشقة أو قلة الطعام أو قد تكون الأمراض ليست من جراء مشقة الرحلة فحسب فقد تكون من البلد الذي ينزلون به بسبب فقر سكانه وقلة مواردهن اوانتشار الاوبئة .

٣. تحديات فكرية تتعلق بأختلاف اللغة و الثقافات:

من بين التحديات التي تواجه الرحالة تلك التحديات المتعلقة بأختلاف الثقافات او العادات او اللغة ولاسيما عندما يتنقل في بيئة خارج محيط العالم الاسلامي ففي رحلة ابن فضلان الى بلاد البلغار ومروره بمدن بحر الخزر وبلاد الروس والبلاد الاسكندنافية مرّ ابن فضلان أثناء خط سير رحلته بقبيلة تركية تعرف ب "الغزية" ووصفهم بأنهم من البادية يعيشون ببيوت من شعر يحلون ويرتحلون وشبههم بحميرهم وقطعانهم فلا دين لهم ولا يعملون عقولهم ولا يعبدون شيئاً ويسمون رؤساؤهم أرباباً وهم لا يغتسلون من غائط ولا من بول ولا من جنابة وليس بينهم وبين الماء أي عمل وخاصةً في فصل الشتاء ولا يستتر رجالهم من نساؤهم ولا من غيرهم ولا تستر المرأة شيئاً من جسمها عن أي أحد من الناس ويروي ابن فضلان عن نزوله يوماً على رجل منهم وقد جلسوا وامرأة الرجل معهم وأثناء تحدثهم كشفت المرأة عن مايجب ان تستر به من عورة فأشاحوا بأبصارهم اي ابن فضلان ومن معه في الرحلة عنها واستغفروا الله فضحك زوجها من فعلهم[١].

كذلك يؤكد ابن فضلان عن معاناته من عدم قدرته على الاغتسال فلا يسمح عندهم لأي أحد من التجار أو الزوار أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلاً بحيث لا يستطيعون رؤيته وذلك لاعتقادهم أن من يغتسل يريد أن يسحرهم لأنه تفرس في الماء فيغضبون منه ويغرمونه مالاً[٢].

ورأى منهم من يعبد رب الصيف وآخر رب الشتاء وللمطر والريح والشجر كذلك أرباب يعبدونها ومنهم من يعبد الحيات وآخرون السمك[١].

---

(١) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٩١-٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٤.

يروي ابن فضلان عن عادات احدى القبائل في بلاد الصقالبة أن الرجال والنساء ينزلون النهر ويغتسلون جميعاً عُراة لا يستتر بعضهم من بعض ويؤكد ابن فضلان أنه سعى ليجعل النساء تستتر من الرجال عند السباحة والاغتسال ولكن لم يتحقق له ذلك[٢]، فكانت معاناته المستمرة في صعوبة اقناعهم بترك الخصال السيئة واذا ما حاول كان يجابه بالرد الذي قد يكون سببا في طرده من المكان الذي يقيم فيه علما انه خرج بدعوة من ملك البلغار للتعرف على الاسلام واعتناقه .

كما يروي ابن بطوطة بعض من عادات أهل السودان التي ذمها واستقبحها كظهور الخدم والجواري والبنات الصغار عرايا أمام الناس وفي دار السلطان حتى في شهر رمضان وبعض من عادات أهل السودان الكفرة الذين يأكلون لحوم البشر ولا يأكلون البيض لأن أكل البيض في نظرهم غير صحي ومضر لاعتقادهم أنه لم ينضج في بطن أمه[٣].

ومن العادات الغريبة التي رصدها ابن بطوطة في أسفاره أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار فيروي ويصف هول ما رآه هناك بعد أن انتشر خبر بالمدينة بموت كاهن من الهنود وأن أهل المدينة قد أشعلوا النيران لحرقه وأن امرأته قد عانقته حتى احترقت معه وضمن السياق يذكر ما شاهده في مدينة بالهند تدعى (أمجري) فقد خرج أميرها المسلم لقتال جيرانه الكفرة والعصاة وكانت نتيجة الاقتتال موت سبعة منهم وكان لثلاثة منهم نسوة قد اتفقن لحرق أنفسهن مع أزواجهن ليعطين بذلك شرفاً لبيوتهن فهذا الأمر غير واجب فالمرأة التي لا تحرق نفسها تلبس خشن الثياب وتقيم عند أهلها بائسة حزينة متهمة بعدم الوفاء لزوجها ولكنها لا تجبر على حرق نفسها، وهنا يسرد ابن بطوطة تفاصيل الحادثة التي رآها من حرق النسوة لأنفسهن يومها حيث بقين ثلاثة أيام في غناء وطرب كأنهم يودعون الحياة وفي صباح اليوم الرابع ركبت كل واحدة منهن على فرس وهي بكامل

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٣٤.

(٣) حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص٤٤.

زينتها وعطرها وأقاربها معها وكل أحد من أقاربها يوصيها بأن تنقل السلام لأقاربهم الموتى وهي تقول نعم ثم اغتسلوا بصهريج ماء وخلعوا لباسهن وحليهن وتصدقوا به ولبست كل امرأة ثوب قطن خشن غير مخيط فربطته ربطاً على أجزاء من جسدها وكانت النار قد أشعلت وصب على النار زيت السمسم فزاد في اشتعالها وقرب النار رجال يحملون الحطب الرقيق والخشب الكبار لإضرام النار وزيادة اشتعالها وقد حجبوا النار بستارة كي لا يخافون هولها فبادرت إحدى النسوة بنزع الستارة من أيدي الرجال بقوة مستهزئة بفعلهم. ثم جمعت يديها على رأسها ورمت نفسها بالنار فألقى الرجال الحطب الذي كانوا يحملونه عليها كيلا تتحرك و ارتفع ضرب الطبول والأبواق ويقول ابن بطوطة أنه عند رؤيته لهول هذا المشهد كاد أن يسقط عن فرسه لولا أن أصحابه قد أنجدوه بالماء وغسلوا وجهه(١).

اما الادريسي فيروي جانبا من عادات شعب جزيرة جالوس بأنهم قوم سود يأكلون الناس وهم عراة لا يستر عورتهم شيء وكذلك النساء ولا يستترون في النكاح بل يأتونه جهاراً ولا يرون بذلك أي مشكلة وقد ينكح الرجل ابنته أو أخته ولا يرى ذلك عاراً (٢)، وهذه السلوكيات الاجتماعية المستهجنة عند الرحالة المسلمون شكلت تحديا نفسيا والتحدي الاكبر كان في عدم قدرتهم على تغيير تلك العادات التي لاتمت للانسانية او القيم البشرية بشيء .

لذا نرى ان الرحالة المسلمون قد عانوا الكثير من المشقة برؤيتهم واختبارهم لثقافة وعادات الشعوب التي صادفوها لا سيما أن اغلب الرحالة قد خرجوا في سفرهم بالاساس لغرض الحج ومنها يتنقلون في البلاد ،فهم يتضرعون لله تعالى أن ينجيهم من شر ما يشاهدوه .

٤. تحديات تتعلق بالأمان والسلامة:

(١) المرجع نفسه، ص٧٦-٧٧-٧٨.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٧٨.

ومما يذكره السيرافي عن الاخطار التي واجهها أنه في جزيرة ملجان في بلاد الهند شرقي البحر هناك قوم من السودان عُراة إذ ما صادفوا إنسان من غير بلادهم علقوه منكساً وقطعوه وأكلوه نيئاً[١] .

اما القزويني فيصف إحدى الجزر في بحر الصين وهي جزيرة البنات بأن سكانها قوم ألوانهم بيض ولهم نصيب وافر من الجمال يصعدون لرؤوس الجبال ويأكلون الناس[٢].

ويروي ابن فضلان عن خطر الموت الذي لاقاه أثناء عبوره بلاد الترك أنه قد التقى من القواد طرخان وينال وابن أخيهما وإيلغز وقد كان طرخان أنبلهم وكان أعرج أعمى أشلّ فقال لهم أن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ولم يخيرني أن أطلقهم إلا عن مشورتكم فاستنكر طرخان ورفاقه هذا الشيء الذي ما مر بهم من قبل ولا سمعوا به منذ عهد أجدادهم واعتقدوا أن السلطان قد أعمل الحيلة ووجه هؤلاء إلى الخزر فاختلفت الاقتراحات بين أن يُقطع الرسل نصفين ويأخذون ما معهم وبين أن يأخذوا ما معهم ويتركونهم عراة يرجعون من حيث أتوا واقترح آخر أن يبادلونهم كفدية مكان الأسرى عند ملك الخزر ويروي ابن فضلان ما زالوا يتشاورون فيما بينهم بهذه الاحتمالات سبعة أيام وهم في حالة الموت حتى اجمع رأيهم أن يخلوا سبيلهم .وهنا يذكر ابن فضلان الهدايا التي قدموها ومنها أنهم أعطوا طرخان هدايا ثمينة حتى انصرفوا عنهم[٣].

اما ناصر خسروا يذكر انه مر بالقرب من حصن بني نسير بعد أن استأجر جملاً من أعرابي ليتوجه إلى حسا وكان بيت العربي الذي استأجر جمله في القسم الأخير من الحصن فأقاموا هناك خمسة عشر يوماً ولم يكن معهم خفير يهديهم إلى الطريق وكانت العادة أن يكون لكل قوم من عرب هذا المكان أرض محددة ترعى بها ماشيتهم ولا يسمحون لأجنبي غريب دخولها وجرت العادة أن

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠-٣١.
(٢) القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ص١٠٣.
(٣) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٠٣-١٠٤.

يمسكوا كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه لذلك يجب اصطحاب خفير من كل جماعة لكي يتمكنوا من المرور بأرضهم بأمان فهو وقاية للمسافر وهنا يذكر ناصر خسرو بأنه اتخذ أبو غانم عبس بن البعير خفيراً لهم وسار معهم وعندما قابلنا قومه اعتقدوا بأنهم ظفروا بصيد ولكن عندما شاهدوا رئيسهم بصحبتنا تراجعوا ولولا ذلك لتعرض هو ومن معه للهلاك المحتم ويذكر خسرو أنه قد استخدم خفيرين بفترة إقامته هناك أجر كل منهما عشرة جنيهات ليتمكنوا من السير بين الأقوام(١).

وعن مروره بعكا ذكر ناصر خسرو ان سكان عكا قد أخبروه أن في الطريق أشراراً يتعرضون للغرباء ويسرقوهم وينهبوهم فبادر لترك ماله بمسجد عكا(٢).

وكذلك يذكر الإدريسي عن مدينتان من بلاد بسجرت وهما ماسترة وقاسترة وهما مدينتان صغيرتان وقليلاً ما يدخل إليهم التجار ولا يصل أحد إليهم لأنهم يقتلون من دخل أرضهم وبلادهم من غيرهم(٣).

كان الرحالة ياقوت قد تنقل بين دمشق وحلب والموصل ثم استوطن مدينة مرو مدة من الزمن ثم ذهب إلى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر سنة ٦١٦هـ وقد قاسى وعانى من المضايقة والتعب حتى خشي هلى نفسه من الهلاك(٤)اذ ذكر مشاهداته في خوارزم وما اصابها عند قدوم المغول بقيادة جنكيز خان والاقتتال بينهم وبين الخوارزميين ومعاناته آنذاك فقد بقي بمدينة خوارزم حتى قبيل الغزو بأيام معدودة ثم هرب وعاد للموصل وأرسل إلى الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي وزير الأيوبيين في حلب مشاهداته على الغزو المغولي في رسالة مهمة أوردها المؤرخ ابن

(١) خسرو، سفر نامة، ص ١٥٥.

(٢)المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٣) الإدريسي، نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٦٠.

(٤) بن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج٦، دار صادر ، بيروت، ص١٢٧-١٢٨.

خلكان في كتابه وفيات الأعيان ومما جاء فيها واصفاً خوفه وفراره " حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والتباب وكانت بلاد مونقة الأرجاء رائقة الأنحاء ... فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد وتحكموا في تلك الأبشار أولو الزيغ والعناد فأصبحت القصور كالممحو من السطور وأمست تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان تتجاوب في نواحيها البوم وتتناوح في أراجيها الريح السموم ويستوحش فيها الأنيس ويرثي لمصابها إبليس ... فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتوهي الجلد وتسوّد القلب ... فحينئذٍ تقهقر المملوك على عقبه ناكساً ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيساً بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غائب وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص الأوزار لأنه مر بين سيوف مسلولة وعساكر مفلولة ودماء مسكوبة مطلولة وكان شعاره كلما علا قتبا أو قطع سبسبا "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا"[١] [٢].

وبعد أن يصف بالرسالة هول المخاطر التي تعرض لها يحمد الله لنجاته من موت محتم على أيدي المغول " فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد وأولانا نعماً تفوق الحصر والعد وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل لعز أن يقال سلم البائس أو وصل ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون وألحق بألف ألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار"[٣].

ويذكر ياقوت الحموي بلدة أسفيجاب وهي من بلاد ما وراء النهر قرب تركستان حيث يصف خير البلاد وجمالها إلى أن قدم عليها خوارزم شاه محمد بن تكش بن ألب أرسلان الذي أباد تلك المنطقة بعد أن ملك منطقة ما وراء النهر وخرب جنوده ثغورها فاضطر أهلها للرحيل عنها بعد أن هُدمت بيوتهم ثم قدم عليها التتر في سنة ٦١٦هـ من أرض الصين الذين قتلوا من بقي فيها من

(١) سورة الكهف، آية ٦٢.
(٢) بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص١٣٤-١٣٥.
(٣) المرجع نفسه، ص١٣٦.

السكان ويؤكد الحموي أن أهل تلك البلاد كانوا أهل دين متين وصلاح وعبادة وكانوا يحفظون حدود الإسلام ويلتزمون شريعته ولم تظهر عندهم بدعة يستحقون عليها العذاب والجلاء ولكن يفضي الأمر لمشيئة الله تعالى[١] .

وخلال سرد الحموي عن مدينة ساوه وهي بين الري و همذان يذكر أن المدينة بقيت معمورة حتى سنة ٦١٧هـ حيث قدم عليها التتر فخربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا فيها أحداً[٢] .

ويذكر الحموي أنه أقام بمدينة نيسابور سنة ٦١٣هـ ويذكر أنه عندما جاء التتر إلى خراسان وفعلوا بها الويلات دخلوا نيسابور فخربوها وأحرقوا دورها فانتقل من بقي منهم إلى الشاذياخ (نيسابور في يومنا هذا) ثم خربها التتر سنة ٦١٧هولم يتركوا بها جداراً قائماً وأصبحت تلال تدمي العيون بعد خرابها[٣].

ويتحدث كذلك عن جمال مدينة مرو ويقول أنه تركها سنة ٦١٦هـ وأن ما دفعه لمغادرتها قدوم التتر لتلك البلاد وتخريبها[٤].

ويروي ابن جبير من خلال رحلته في مدن مصر فيذكر أنه في بعض المدن كإخميم (شرقي النيل) ومنية (على شط النيل) يتعرضون لمراكب المسافرين والحجاج وإدخال الأيدي إلى أوساط التجار بحثاً عن شيء يتأبطونه كالدراهم أو الدنانير وغيرها من الأفعال التي يقبح سماعها والتحدث عنها وكل ذلك تحت عنوان الزكاة دون مراعاة لمحلها أو ما يدرك منها النصاب ومن أشنع الأفعال خروج شرذمة من مردة أعوان الزكاة وهم يحملون المسال الطوال ذوات الأنصبة فيصعدون المراكب

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٧٩.
(٢) المرجع نفسه، مج٣، ص١٧٩.
(٣) المرجع نفسه، مج٣، ص٣٠٦-٣٠٧.
(٤) الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١١٤.

ويستكشفوا ما بداخلها فلا يتركون عكماً[١] إلا ويدخلون تلك المسال من خلالها خوفاً أن يكون في تلك العكم التي لا تحوي سوى الطعام والمؤونة شيء قد خُفي عنهم من بضاعة أو مال وهذا من أبشع الأفعال فقد نهى الله تعالى عن التجسس فما بالك من الكشف على أمور أراد صاحبها خفيها[٢].

ومن أعظم التحديات التي تعرض لها الرحالة في أسفارهم كان عنصر الأمان والسلامة فهم يمرون وينزلون ببلاد لا يعرفون عنها وعن عادات شعوبها شيئاً فقد واجههم قطاع الطرق وأمنوا منهم إما بالدراهم أو الهدايا أو بفضل الله وكرمه عليهم ونزلوا على جزر نائية كان من عادات ساكنيها قتل كل من يأتي إليها وتعرضت كذلك الأمر قوافلهم للقرصنة والنهب والسلب.

ب. تحديات طبيعية :

١- **البرد:** جاء في كتاب ابن فضلان في أثناء وصف رحلته عن البرد القارس الذي تعرض له في مدينة "الجرجانية"[٣] بأنهم قد أقاموا بالجرجانية أياماً وجمد نهر "جيحون لشدة البرد[٤] وكان سمك

(١) عكم المتاع يعكمه عكماً: شده بثوب وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشده ويسمى حينئذٍ عكماً. الزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٤٩٣.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٣٨-٣٩.

(٣) قصبة ناحية خوارزم وهي مدينة مشهورة على شاطئ جيحون وتتصف ببرودتها الشديدة . انظر: القزويني، آثار البلادوأخبار العباد، ص٥١٩-٥٢١.

(٤) جيحون يخرج من حدود بدخشان ثم ينضم إليه أنهاراً كثيرة في حدود الجبل فيصير نهراً عظيماً ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد إلا خوارزم لأنها مستقلة به ثم ينصب في بحيرة خوارزم وهو نهر قتال لا ينجو منه غريق. انظر: القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ٢٠٠٠، ص١٥٥ وقيل في نهر جيحون عن ابن مسعود عن النبي (ص) أنه قال: ليلة أسري بي رأيت على السماء الرابعة قصراً مزخرفاً حواليه قناديل من نور قلت: يا جبريل ما هذا القصر المزخرف؟ قال: هذا رباط ستفتحه أمتك بأرض خراسان حول جيحون. قلت: وما جيحون؟ قال: نهر بأرض خراسان من مات حول ذلك النهر على فراشه قام يوم القيامة شهيداً. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥١٩

الجليد سبعة عشر شبراً وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تسير عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل وأنه قد بقي على حاله هذه ثلاثة أشهر(١) وتحدث أيضاً أنه قد طال مقامه بالجرجانية فبقي بها أياماً من رجب وشعبان ورمضان وشوال وكان طول المقام بسبب البرد وشدته وفي سياق حديثه عن شدة البرد يروي ابن فضلان أنه قد سمع أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الفياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحراقة وأنهما باتا من غير نار فأصبحا والجمال موتى من شدة البرد(٢) ويسترسل ابن فضلان بوصف شدة البرد بأن الشوارع والأسواق تكاد تخلو من إنسان ولا يستقبل إنسان أي أحد ويتحدث عن نفسه عندما يخرج من الحمام وينظر إلى لحيته فيراها قطعة واحدة من الثلج حتى كان يقربها إلى النار وكان ينام في بيت جوف وفيه قبة لبود تركية وهو مدثر بالأكيسة والفرى وأنه قد التصق خده على المخدة لشدة البرد(٣).

٢- **الحرّ:** يورد الإدريسي أن صحاري عيذاب متصلة الخلاء ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلي الإقامة فيها لعدم توفر الماء ويوجد في هذه الصحراء جب حميرة وهو من أعجب العجب لأن ماءه لا ينزل به من شربه من حيث تنزل الماء من الإنسان ولا يبقى بالمعدة شيئاً وإذ شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل من مقعدته سريعاً من غير تأخير أو إقامة وهذه الصحراء لا تسلك باشتداد الحر لجفاف الماء بها ورياحها الجرداء وأرضها النارية المهلكة(٤).

٣- **أخطار البحار والأنهار:** يسرد السيرافي في وصف بحر هركند (خليج البنغال) أنه رأى في هذا البحر سحاب أبيض يظل المراكب فيظهر منه لسان طويل رقيق حتى يلتصق اللسان بالبحر فيعلي له ماء البحر كالزوبعة وهذه الزوبعة إذا وصلت للمركب ابتلعته وأن في هذا البحر ريح تثيره حتى

---

(١) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٣

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤

(٣) المرجع نفسه ، ص٨٥

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٣٤

يغلي كغليان الماء في القدور فيرمي ما فيه إلى الجزر التي فيه ويكسر المراكب وأن هذا البحر إذا علت أمواجه يظهر كالنار يتقد[١].

كما يصف السيرافي البحر الذي بين بلاد الهند والسند فيقول أن في هذا البحر سمك يدعى العنقسوس يعيش تحت الماء يرصد الإنسان حتى يقع فتبتلعه وهذا النوع من السمك يأكل بعضه بعضاً[٢] بالإضافة لسمك يدعى اللخم وهو كما وصفه السيرافي سبع يبتلع الناس[٣] ويصف جزيرتان اسمهما أندامان وهي من ضمن جزر الهند أهلهما يأكلون الناس أحياء وهم سود ملفلفي الشعر طوال الأرجل فرجهم مثل الذراع وهم عراة ليس لهم قوارب ولو توفرت لهم قوارب لأكلوا كل من صادفهم[٤] ، وهذه الاخبار التي يسمعها او يراها تجعل الرحالة خائفا طول الوقت ويخشى على نفسه الهلاك في اي لحظة .

ويروي ابن فضلان عن شدة وخطورة جريان نهر "جيخ" (فرع من نهر جيحون) فيؤكد أنه من أكبر الأنهار التي رآها وأشدها جرياناً وأنه قد شهد مركباً انقلب فيه فغرق من كان فيه ومات الكثير من الرجال وغرقت عدة جمال ودواب ويؤكد ابن فضلان انه قد عبره رغم خطورته بعد جهدٍ كبير[٥].

ويصف أبو حامد الأندلسي عند القزويني سمكة اسمها البغل حجمها كجبل عظيم لها صيحة عظيمة ما سمع أهول منها يكاد القلب ينشق منها يضطرب الماء لهولها وتتلاطم أمواجه حتى خشو الغرق وشرح البحريون إنها هربت من السمكة الكبيرة التي تلاحقها لتأكلها في بحر الظلمات فتهرب

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٢-٢٣
(٢) المرجع نفسه، ص١٦-١٧.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٣.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢١-٢٢.
(٥) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٠٧.

منها في مجمع البحرين إلى بحر الروم فتأتي السمكة الكبرى خلفها في مجمع البحرين فلا يمكنها أكلها لكبرها[١].

ويصف السيرافي بحر الكند عند جزيرة الواق واق بأن فيه سمك نبت على ظهرها الحشيش والصدف وقد ينزل عليها أهل المركب فيظنون أنها جزيرة ثم ما يلبثوا أن يغادروا بعد أن يدركوا أنها سمكة وكان إذ نشر هذا السمك جناحيه ظهر كالشراع وإذ ما رفع رأسه من الماء يبدو كالجبل العظيم وإذ نفخ الماء من فمه إلى الجو يظهر مثل المنارة العظيمة وكان عندما يسكن البحر يجر السمك بذنبه ثم يفتح فمه فينزل السمك في حلقه ويسمى هذا السمك "العندر" وطوله ٣٠٠ ذراع وأهل المؤاكب يخافون منه ويحتوي البحر أيضاً حيات عظيمة تخرج لى الب فتبتلع الفيلة وتكسر عظامها في جوفها فيسمع حينها صوت هائل[٢] هذا ما أكده القزويني حين وصف السمكة ذاتها بنفس الوصف[٣].

يصف برزك بحر الهند فيقول من مصائب البحر المعروفة ما حدثني به بعض التجار أنه قد خرج من مركب من سيراف سنة ٣٠٦هـ يقصد صيمور[٤] وكان معهم مركب عبد الله بن الجنيد ومركب سبأ وبذلك كانت هذه المراكب الثلاث مصطفة في البحر وبحارتها ماهرون وكان في المركب ١٣٠٠ رجل من التجار والنواخذة وغيرهم من الناس وفيه قدر كبير من الأموال والأمتعة وبعد أن عبرنا البحر لمدة ١١ يوماً شاهدوا الجبال وأرض سندان وصيمور ففرحوا بالسلامة واستعدوا للنزول فباغتتهم ريحٌ من الجبال وانهال عليهم المطر والرعد والبرق فاقترح البعض إلقاء الأمتعة فمنعهم أحمد من ذلك وأبى أن يطرح الأمتعة إلا بعد أن يتيقن من هلاكه وبقيت المناوشات على السفينة مدة

(١) القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ص١٢١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١١٠.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ص١٠٤.

(٤) مدينة في الهند قريبة من السند سكانها يتمتعون بحظ وافر من الجمال والملاحة لكونهم من أصول تركية وهندية وهم مسلمون ونصارى ويهود ومجوس. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٧.

ستة أيام بين مؤيدين لطرح الأمتعة ومخالفين فلما جاء اليوم السادس وكاد أن يغرق المركب في البحر أمروا بطرح الحمولة فلم يتمكنوا من رميها لأن البضائع قد ثقل وزنها وما كان وزنه خمسمائة أصبح ألف وخمسمائة وطرحوا القارب إلى الماء ونزل فيه ثلاثة وثلاثون رجلاً ولم ينزل أحمد بالقارب وقال لا أغادر السفينة فلا حظ لي في الرجوع بعد ضياع مالي ومات جميع أهل المراكب الثلاثة ولم يسلم إلا ممن نجا في القارب(١).

كما يورد المقدسي في سياق ذكره أهوال البحر فيقول أنه في فاران موضع تهبّ فيه الرياح من مصر والشام فتتحاذيان وفيه موت المراكب ومن عاداتهم أن يبعثوا رجالاً يربون الريح فإذا هدأت الرياح التي هم من نحوها ساروا وإلا أقاموا المدة الطويلة إلى أن يأتي الفرج(٢).

وأما عن رحلة ابن جبير في البحر فيصفه أهواله بعد أن فارق بر سردانية بأن عصفت عليهم رياح هال لها البحر وجاءت الرياح محملة بالأمطار كأنه شآبيب سهام فاشتد الخطب والكرب وضرب بهم الموج من كل مكان وبقوا على هذه الحال الليل بكامله وبلغوا من اليأس مبلغاً كبيراً وارتجوا أن يأتي مع الصباح الفرج فجاء النهار بما هو أشد هولاً فازداد البحر اهتياجاً وازدادت السماء سواداً ولم تبقي الرياح شراع لشدة قوتها فاستعملوا الشروع الصغار التي لم تسلم من العاصفة كذلك الأمر فمزقته وكسرت خشبته فتملكهم اليأس وارتفعت أيدي المسلمين بالتضرع والدعاء وبقيوا على حالهم طوال النهار وعندما حل الليل هدأت الأحوال وباتوا تلك الليلة بجزيرة صقلية ولما أسفر الصبح نشر الله رحمته فانقشعت الغيوم واستبشر الناس وتابعوا المسير بعد أن حمدوا الله كثيرا وقد أجمع كل من في القارب أنهم لم يشاهدوا أعنف من تلك العاصفة(٣).

---

(١) زيادة، نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢.

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠-١١.

يسترسل ابن جبير بوصف أهوال البحر فيطالعنا بوصف العاصفة التي تعرضوا لها بعد إقلاعهم من جزيرة إقريطش (كريت) فيصف كيف عصفت بمراكبهم ريح شمالية قوية وقد هاج البحر بأمواجه فتتراءى للناظر أمواجه كأنها جبال مثلجة فغلب اليأس عليهم بعد أن بقيوا على متن السفينة مدة ستة وعشرون يوماً لم يروا خلالها بر فدب الخوف من نفاذ الزاد والماء وهم في خوف ويأس[١] .

يتابع ابن جبير وصفه لأخطار البحر التي تعرض لها هو ومن كان معه في القافلة بعد أن هدأت الرياح بفضلٍ من الله تعالى وصلوا قلورية (كلابريا) وهي تابعة لصقلية و نزل في هذه المدينة الكثير من أهل المركب لضائقة قد مستهم وهم في المركب وهي انعدام الطعام ونفاذه فقد كانوا يقتصرون على مقدار رطل من الخبز اليابس يقتسمونه بين أربعة أشخاص بعد أن يبللوه بالقليل من الماء فيأكلونه فتفرق المسلمون بابتياع ما أمكن من الطعام رغم غلائه فقد لبثوا في البحرة مدة شهرين وكان ظنهم أنهم يقطعونها بعشرة أيام أو خمسة عشر يوماً كحد أقصى[٢] .

وعندما تابعوا الرحلة واقتربوا من مدينة مسينة المقصودة انتشر الرعب على المركب بأن المركب قد أمالته الريح بقوتها إلى أحد البرين وهو ضارب فيه فأمر رئيسهم بإنزال الأشرعه فلم ينزل شراع الصاري وعالجوه فلم ينزل فمزقه ربان السفينة بالسكين قطعاً في محاولة لتوقيفه وأثناء ذلك ضرب المركب بالأرض فقامت الصيحة الهائلة في المركب وكانت الواقعة الأعظم والقارعة التي لم تبقي صبراً فسكت النصارى واستسلم المسلمون لقضاء الله ولم يبقى لهم سوى الدعاء واشتدت الريح وراحت الأمواج تضرب المركب فتأهبوا للموت وعلا الصياح وارتفع صراخ الأطفال من الروم ونسائهم وكان البر ماثل أمام أعينهم وهم في حيرة بين أن يلقوا بأنفسهم في البحر ويصلوا البر

(١) المرجع نفسه، ص٢٨٨.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص٢٩٢.

سباحةً أو ينظروا فرج الله الذي أتى وجاءت الزوارق المساعدة وعمّ خبر المركب المدينة فجاء ملك صقلية غليام (غليوم الثاني ١١٦٦-١١٨٩) بنفسه وأنقذ الزوارق ووصلوا البر بسلام[١].

يؤكد ابن جبير أنه كان لمجيء ملك صقلية بنفسه واطلاعه على أوضاعهم من رأفة الله بهم وحسن تدبيره فيقول إننا وإن كنا قد سلمنا من الموت لاستعبدنا للأبد وانتهب كل ما في مراكبنا لأن العادة جرت لهم بذلك فكان وصول الأمير لهذه البلاد بسبب أسطوله الذي ينشئه رحمة لنا من رب العالمين[٢] .

ويصف المسعودي الصعاب التي كان يلقاها في رحلاته فيقول أنه ركب عدد من البحار كبحر الصين وبحر الروم والخزر والقلزم واليمن وقد أصابه من الأهوال ما لا يحصيه ويذكره ويذكر أن شاهد في بحر الزنج (المحيط الهندي شرق أفريقيا) سمك الأوال حيث يبلغ طول السمكة نحو أربعمائة ذراع فيصفه كيف يظهر رأسه وينفخ الهواء في الماء فيرتفع الماء في الجو أكثر من ممر السهم وتخاف منه المراكب في الليل والنهار تضرب له بالخشب والدبادب لتنفر من ذلك[٣].

يذكر سلام الترجمان أنه وأثناء الرحلة التي كُلف بها من قبل الخليفة الواثق بالله للتأكد من سلامة السد الذي بناه ذو القرنين أنه وخلال مسيره إليه قد مر بجزيرة نتنة الرائحة وقد استعان هو ومن معه بالقافلة بنبات الخل ليشموه فيخففوا من نتانة الرائحة ويذكر أنه قد استمر مسيره في تلك الجزيرة مدة عشرة أيام[٤].

ويذكر الإدريسي بوصف الأرض المنتنة أنها أرض ممتدة حرشاء سوداء طولها عشرة أيام جرداء من النبات لا يوجد في شيء من ترابها ولا في جبالها نبات أبداً وهي وحشة الأكناف بعيدة

(١) المرجع نفسه، ص٢٩٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٣) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٣٨، الكويت، ١٩٧٨، ص٢١١؛ زيادة، نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص١٥٧.

(٤) ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص ١٦٣.

الأطراف ماؤها غائر وليلها حائر وسالكها كرب وروائحها منتنة كريهة ولا يوجد فيها مأوى لعامر ولا مسلك لقاصد يأنس إليه الخاطر(١).

ويتحدث ابن جبير عن رحلته أثناء مغادرته جزيرة صقلية متوجهاً لمدينة مسينة فيصف الجزائر الأيولية في شمالي صقلية فيقول أنه من بين التسع جزائر اثنان منها تخرج منهما النار دائماً و الدخان يتصاعد منهما ويبدو ليلاً ناراً حمراء ذات ألسن تتصاعد في الجو وهو البركان خبره ويستطرد بوصفه الجبل الشامخ الذي في الجزيرة (بركان إتنا) المعروف بجبل النار الذي تخرج منه النار في بعض السنين كالسيل فلا تمر بشيء إلا وأحرقته(٢) .

وبذلك نرى كيف استرسل الرحالة في وصف أهوال البحار والمحيطات التي مروا بها وبالغ بعضهم بوصف أهوالها فقد كانت أغلب رحلاتهم بحرية بزوارق ومراكب تحمل الكثير من المسافرين وقد عانوا ما عانوه من ويلات البحار والرياح وقلة المؤونة ونفاذ الطعام..

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى جملة نتائج كان من بينها ك

- اندفع الرحالة المسلمون خلال القرن ٣-٨هـ في رحلات استكشافية لمناطق البلاد الاسلامية وغير الاسلامية بغية التعرف على عادات اهلها او لهدف الحج او لتلقي العلوم .او لعرض التجارة .
- يتباين الرحالة في درجة مصداقيتهم ودقتهم في نقل الأخبار والوقائع وقد تركوا لنا العديد من الكتب التاريخية التي تتضمن سرد للتحديات التي واجهوها.
- واجه الرحالة المسلمون تحديات مالية تتعلق بالإنفاق على الرحلة وكان الإنفاق على الرحلة إما بالمال أو الهدايا بغية كسب الود ودرء الأخطار أو من خلال وسائل النقل فتمثلت من خلال موت الدابة التي يسير عليها أو تعرض السفينة للتخريب من أهوال البحار التي يقطعها.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٢٩.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٣٠١.

- كما واجه الرحالة تحديات صحية تتعلق بالأمراض التي أصيبوا بها هم ومن معهم في الرحلة ناتجة عن مشقة السفر والترحال.
- تعرض الرحالة أثناء ترحالهم لتحديات تتعلق باختلاف الثقافة في البلدان التي نزلوا بها تتعلق بالنظافة وحشمة المرأة واختلاف اللغة .
- يعتبر عنصر الأمان من أبرز التحديات التي واجهت الرحالة من خلال تعاملهم مع قطاع الطرق الذين صادفوهم بالإضافة لترحالهم على جزر كان من ثقافة سكانها قتل أي غريب يدخلها.
- وتأتي التحديات الطبيعية المتمثلة بالرياح القوية وهيجان البحر وتعرض السفن للغرق من أشد أنواع التحديات حيث يسترسل أغلب الرحالة بالحديث عن أهوال البحار وانقطاع الأمل بالنجاة وتمسكهم بالدعاء لله تعالى لحين نجاتهم أو مساعدتهم من قبل الجزر القريبة.

قائمة المراجع:

١- ابن جبير، أبو الحسين محمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣.
٢- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
٣- ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، حققها : سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٠.
٤- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد ٦، نشر أدب الحوزة، إيران، ١٤٠٥هـ.
٥- أحمد، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة، جدة، د.ت.
٦- الإدريسي، أبي عبد الله بن إدريس الحموي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٢٢م.
٧- بن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج٦، دار صادر ، بيروت.

٨- حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١.

٩- حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

١٠- خسرو، ناصر، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ط٢

١١- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، ج٨، دار الفكر.

١٢- زيادة، نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧.

١٣- السيرافي، رحلة السيرافي، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩.

١٤- غريب جورج، أدب الرحلة تاريخه وأعلامه (المسعودي – ابن بطوطة – الريحاني)، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ،د.ت.

١٥- فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٣٨، الكويت، ١٩٧٨.

١٦- القزويني، زكريا بت محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٧- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

١٨- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١.

١٩- نوري ، نوفل محمد،، الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الاسطورة والحقيقة ،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية /جامعة الموصل ،مج١١،العدد١،تموز:٢٠١١.

٢٠- الهروي، أبي الحسن علي بن أبي بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٢

٢١- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٢- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٩١٨.